شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الثالث للعام ١٤٣٧

١٤٢٩هـ
معهد العلوم الشرعية

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحَيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد؛

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ولا سهل لنا إلى ما سهلته لنا إنك يا مولانا جواد كريم، وبعد؛ يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[العصر: ١-٣].

(المتن)

وصلنا عند باب "من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"

وقول الله تعالى: **{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [١] **الآيتين.**

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع »[٢].

---

(١) هود :١٤و١٥ .

(٢)صحيح البخاري» كتاب الجهاد والسير» باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.رقم: ٢٦٨٨

سنن ابن ماجه – الجزء : ٢ – الصفحة : ١٣٨٦

(الشرح)

هذا الباب أخواتي في الله باب عظيم من أبواب كتابة التوحيد، المصنف –عليه رحمة الله– في هذا الباب ذكر الحكم الشرعي على هذا الإنسان الذي يعمل الصالحات ويريد بهذا العمل الدنيا، بل جعله –رحمه الله– من الشرك.

وثمة مسألة مهمة جدًا: أيهما أشد الرياء أم العمل لأجل الدنيا؟ الشيخ ابن القاسم –عليه رحمة الله– ذكر في حاشيته على كتاب التوحيد وهذه الحاشية من أروع الشروح الصغيرة على هذا الكتاب وأنصح الجميع على قراءتها. ذكر الشيخ ابن القاسم –رحمه الله تعالى– وجه أن العمل من أجل الدنيا أعظم، لماذا أخواتي بارك الله فيكم؟ قال: لعدة أسباب منها أن العمل من أجل الدنيا يسري ويمتد، وأما العمل الرياء فإنه في عمل دون عمل؛ ولهذا سُمي طالب الدنيا عبدًا.

أما ما مواضع ما جاءت فيه هذه التسمية كالتي جاءت في صاحب الدنيا، والله تعالى أعلم. الآن قول الله ﷻ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ}[هود: ١٤].

قبل الشروع في جمع هذه الآية لابد لنا أن نبين قضية، أقول أخواتي بارك الله فيكم: ينبغي لنا أن نبين قضية مهمة قبل الشروع في شرح هذه الآية، وهي أن طلب الدنيا بعمل الآخرة، على ثلاث أقسام:

الأول: أن يعمل الخير خالصًا لوجه الله الكريم. لكنه يرجو من الله أن يثيبه عليه في الدنيا، مثال على ذلك: رجل تصدق صدقة لله ﷻ لكن أراد منها حفظ ماله، نقول: هذا القسم حرام. تصدق لأجل الله ﷻ ولا ترد بعملك إلا الله ﷻ.

الثاني: أن يعمل الخير ليس خالصًا لله ﷻ؛ بل لأجل رياء الناس وسمعتهم. هذا شرك بالله ﷻ، عمل العمل لأجل الناس، والناس يعمل الخير لأجل كسب مادي من الناس، وهو لم يكن مخلص وليس لأجل مدح الناس، تسميعهم له، بل عمله لأجل

الكسب المادي. مثل الإنسان يحج؛ لكي يأخذ مالًا على الحجة من الناس، هو يحج عن فلان؛ لكي يأخذ منه المال، وما شابه ذلك.

أو الذي يتصل بالدين والصلاح لأجل أن يكون دينه مسألة، وهذا القسم-نسأل الله العافية- مثلًا هو يستغفر والأصل نقول: الاستغفار لأجل الله ﷻ، لكن هو يستغفر لأجل أن يأخذ مالًا، وهي أن الإنسان يستغفر لنية الزواج أو بنية الإنجاب أو أن الله قال: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}[نوح: ١٠-١٢]. ليس من أجل الاستغفار هذا بل لأجل رجوعهم وتوبتهم إلى الله ﷻ.

وبعده قال: لا، والاستغفار ثبت عن النبي ﷺ: «أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيقٍ فرجًا ومن كل همٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب». فهنا هذه قضية مختلفة نوعًا ما.

هو يستغفر بنية الإنجاب أو يستغفر بنية الفرج، وهذا يختلف نعم، وأحسنتم بارك الله فيكم. لكن إنسان مثلًا يعمل عملًا لم ينفيه نص، وهو مثل يربي لحيته ليس لأجل الله وليس لأجل الشريعة، ولأجل يصبح مفتي أو يكون إمام في يوم من الأيام، كلها إشكالية. نسأل الله السلامة.

هنا الإشكالية، أما من أراد بعمله وجه الله ﷻ لكن حصل له شيء من الدنيا فأخذه؛ فهذا لا إثم عليه، يعني أخواتي مثلًا إنسان في التوجيه عندنا للشيء عند الضرورة، فيصبح يصلي للمسجد لله ﷻ، لكن بنية أنه يصلي حتى يوفقه الله ﷻ في الدنيا، ونقول: هذه قضية خطيرة جدًا - نسأل الله السلامة- وهذا أشرك بهذا العمل. وأن كان الشرك الأصغر، إلا أنه فقد الأجر عند الله ﷻ، فإنه سوف يأخذ أجره في الدنيا.

أو قول الله ﷻ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا}، أي من أراد بهذا العمل الديني المنفعة الدنيوية، كالذي يجاهد من أجل الغنيمة أو الذي يتصدق من أجل حفظ

المال وما شابه ذلك، فالله ﷻ يوفي إليهم أعمالهم فيها ونثيبهم على أعمالهم في الدنيا، تقوم الليل لأجل أولادها، ويوفق الله أولادها ويثيبهم عليها في الدنيا وذلك يبارك لهم في الصحة، والتوسيع لهم في الرزق.

{ وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ} لا يبخسهم فيها، وإنما يأتيهم الله ﷻ بها في الدنيا لمن أراد ﷻ، لكن { وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا }، يعني: أعمالهم حابطة، ولم يستحقوا عليها الثواب عند الله يوم القيامة، لأنهم أُعطوا ثوابها في الدنيا، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

قال الله ﷻ: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[هود: ١٥]. أي: عملهم باطل من أصله؛ لأنهم لم يقصدوا به وجه الله ﷻ والعمل الباطل لا ثواب له.

ما هو أثره؟ إرادة الدنيا على العمل، من خلال هذه الآية نعلم أن أثر إرادة الدنيا على العمل على قسمين، أما الحبوط أو النقصان، -واضح أخواتي- الحبوط وهذا إذا أراد الدنيا فقط، والنقصان هذا إذا أراد الدنيا والآخرة، وما يجب عليه.

مسألة: لو قال قائل: هذه الآية في المشركين، فكيف طبقت على المؤمنين؟ قد يسأل السؤال أحد، أليس كذلك أخواتي بارك الله فيكم؟

نقول: اشترطوا معهم في الوصف، فأصبح الحكم واحدًا، قد تشتركي أنت المسلمة مع الكافرة لا في أصل الإسلام والكفر؛ بل في الوصف. قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم». ولو بصفة معينة.

ثم قال في الصحيح عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم» هذا الحديث قسم الناس باعتبار إرادة العمل الصالح إلى قسمين: وبدأ بالقسم الأول، وهو من كان يريد العمل الصالح بالدنيا فقط، فقال النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار». بمعنى: الدعاء عليه بالهلاك والشقاء.

« تعس عبد الخميصة»، الخميصة هي الكساء من حرير أو من صوف ويكون هذا معينًا في خطوط، وكان في زمن النبي ﷺ مشهورًا، « تعس عبد الخميلة» يعني: القطيفة

وهي لباس كان. . . مشتهرًا في زمن النبي ﷺ له خمائل، يقول: من أي نوع؟ ليس نوع معين.

يقول: « إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط تعس وانتكس » يعني: خاب وخسر، والانتكاس في الأصل، عودة المرض بعد الشفاء-نسأل الله الشفاء-، تقولين: والله ابني أو أخي بعد أن شُفي انتكس، يعني: تقولين: ابن أخي بعد أن شُفي انتكس. يعني رجع للمرض مرة أخرى.

قال ﷺ: «وإذا شيك فلا انتقش». يعني: إذا أصابته شوكة، فلا يجد من يخرجها، وهذا الدعاء المقصود هنا إذا وقع في البلاء، لا يجد من يترحم عليه أو يعطف عليه أو يساعده.

ثم قال ﷺ: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع ». طوبى شجرة في الجنة، وقيل أنها الجنة، يدعو لمن؟ لرجل. وهذا الرجل ماذا يفعل؟ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يعني محارب ومجاهد في سبيل الله، يعني: العنان هو الحبل الذي يمسك الفرس، قال: أشعث رأسه. يعني: مشغول في الجهاد شغلًا يمنعه عن تنظيم شعره وتمشيطه وتهذيبه.

قال: مغبرة قدماه، يعني: ملازم له الغبار، لماذا؟ لكثرة جهاده ومثابرته في سبيل الله. إن كان في الحراسة كان في الحراسة، يعني: لا يضره أن يكون، أو وُكل إليه الحراسة كان في الحراسة، وكان في المحافظة عليها، وإن كان في الساقة كان في الساقة، يعني: في مؤخرة الجيش، ويسمون الساقة، صار فيها، وهذا الرجل كثير من الناس ينظرون إليه بأنه إنسان دنيء لا يُهتم له ولا يُنظر له، حتى أن شفع لم يُشفع، وأن توسط لأحد عند الملوك ونحوهم كالوزير أو المدير، لا تقبل وساطته لماذا؟ لهوانه على الناس. نسأل الله العافية. لكن النبي ﷺ دعا له دعاء طيبًا، دعا له بالجنة.

مسألة هنا: وهي طوبى، أما أن نقول: هي جنة أو شجرة في الجنة.

مسألة: ما حكم تعليم القرآن؟ نقول: تعليم القرآن يجوز، يجوز أن يعلم الإنسان غيره القرآن، ويأخذ على ذلك شيئًا من الدنيا، وليس هو داخل في هذا الباب، لقوله ﷺ: «أن أحق ما أخذت عليه أجرًا كتاب الله ﷻ». ومثله أيضًا أخواتي بارك الله فيكم العلاج بالقرآن، لكن ليتقِ الله في هاتين القضيتين، لا نثقل على الناس ولا نكثر. نحن نأخذ حتى نتكفف. واضح.

لماذا لم يدرج المسألة هنا؟ لأن بعض الناس يرى أن الإنسان إذا علم القرآن وأخذ المال فهو أراد الدين بالدنيا، ونقول له: بل يجوز له ذلك. واضح.

أختنا إيمان حياكم الله، الإنسان إذا انتسب لجمعية هو بدونها ينسب نفسه إذا اشتغل معهم يُنسب إليهم، ونقول: هذا رجل يُنسب إلى جمعية كذا، وكذا لتحفيظ القرآن، وهو الآن يعمل في الجمعية، لينفق على نفسه، واضح. يقدم على العمل فيها لأنه يريد راتب.

يجوز له ذلك، وكلنا أخواتي بارك الله فيكم، قد يعمل عملًا لوجه الله ﷻ، ولكن في الوقت نفسه يطلب الراتب، لا بأس يا أختي، حتى ينفق على نفسه، نسأل الله العافية.

وإذا عمل دون أن يطلبه يجوز قطعًا، والدليل يا أختنا عبير حديث عمر بن الخطاب ﷺ لما أعطاه النبي ﷺ وقال له: «إن هذا المال جاء من غير مسألة، فخذه». يجوز، أن يكون قد سأله وأن يتطلع له.

(المتن)

الباب الذي يليه هو باب "من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله".

وقال ابن عباس: يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النور: ٦٣]أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}[التوبة: ٣١] الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟ » فقلت: بلى. قال فتلك: «عبادتهم». رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

(الشرح)

الآن هذا الباب والباب الذي بعده، يعتبران من أصحاب الأبواب، حقيقة، لماذا؟ لأنه لهما تعلق بالواقع، والآن الإشكالية في هذا الواقع المعاصر أن هناك أناس كثر يقعون في هذه الأبواب وهي تحتوي الآيات والأحاديث.

المصنف –عليه رحمة الله– الشيخ محمد بن عبد الوهاب حكم على أن من أطاعهم فقد اتخذهم أربابًا، هكذا في الترجمة في الباب. فموضوع ذلك يتحدث عن الطاعة وأحكامها، والطاعة قضية مهمة جدًا، وذكر المصنف هاهنا صنفين ما هما؟

من أطاع العلماء والأمراء، لكن يُقاس عليهم أصناف أخرى، كرؤساء العشائر وكل من له شأن في الطاعة. كالوزير ومدير المدرسة، وما شابه ذلك، قال ابن عباس: يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، هذا كلام من حبر الأمة وترجمان القرآن، كان جوابًا لحوار دار بينه وبين من كان حوله من الصحابة والتابعين طبعًا.

وابن عباس ﷺ كان يرى وجوبًا نسك التمتع في الحج، ويستدل على ذلك بقول الرسول ﷺ، وكان عنده في المجلس من يرى أن الإفراد أفضل، وهي مسألة فقهية، وكان يستدلون بفعل أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما–، فغضب غضبًا شديدًا وقال هذا

القول: يُوشك يعني: يقرب أن تنزل عليكم حجارة من السماء، -تخيلوا أخواتي- هذا في مسألة فقهية، فكيف في مسألة عقيدة ومسائل العقيدة؟ أبو بكر وعمر صحيح هما الخليفتان الأول والثاني للخلفاء الراشدين، لكن قول النبي ﷺ الأصل أنه إذا تعارض مع قولهما مقدم عليهما.

مناسبة هذا الحديث تحريم تقديم قول أحد على قول النبي ﷺ كائن من كان، وإنما من قدم قول أحد على قول النبي ﷺ يستحق هذا الوعيد، ونسأل الله السلامة.

كثير من الناس الآن تقول له: قال الله ﷻ وقال رسول الله ﷺ، يقول: الإمام أحمد وقال الشافعي، والشافعي يقول كذا وكذا، وأنت تقول له يقول النبي ﷺ كذا وكذا. يقول: فلان نسأل الله السلامة، أصبح التعظيم لقول الأشياخ وأئمة المدارس الفقهية مقدم على قول الله وقول رسوله ﷺ.

وهذا الأثر أخواتي بارك الله فيكم فيه فوائد عظيمة منها أن من بلغه الدليل ورده تقليدًا لإمامه ولإمام من الأئمة فإنه يُنكر عليه بغلظة. ينبغي عليكِ أن تنكري عليها غلظة.

والفعل الثاني: أنه لا يُلتفت إلى رأيه، من كان أو أي واحد من الناس، إذا خالف رأيه الكتاب والسنة.

الفائدة الثالثة: تحريم التقليد مع وضوح الدليل.

قال الإمام أحمد –رحمه الله-: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته" يعني: هؤلاء القوم هل هم طلبة علم وعلماء أم هم عوام؟

أحسنتي هم طلبة علم وعلماء، عرفوا الإسناد يعني: عرفوا صحة الحديث، وعرفوا صحته وحكموا عليه بالصحة والضعف، ثم بعد ذلك يذهبون يعني: يأخذوها بروح سفيان الثوري –عليه رحمة الله-، وهو من العلماء الأكابر عليه رحمة الله ﷻ. لكن لا نأخذ بقوله ونترك قول الله ورسوله.

قال الإمام أحمد –رحمه الله–: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان" ولم يقل: يذهبون إلى دليل سفيان، هاهنا قضية مهمة وهي تقديم الرأي على الحديث، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

هذه قضية مهمة جدًا، قال الإمام أحمد: "ويتركون الحديث، وقد صح عندهم سنده". يعني: تركوا الحديث لأجل قول فلان وعلان. فهنا القضية العظيمة التي تقصم الظهر. قال:

أقول: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟! والله تعالى يقول: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النور: ٦٣]. قتل أو حرب أو أي نوع من أنواع العذاب، أو يصيبهم عذاب أليم، أي: يدخره الله لهم في الآخرة. نسأل الله العافية. وهذه الآية أصبح المخالف لأوامر الله معرض لشيئين:

الشيء الأول: أن يتدرج به الأمر إلى أن يقع في الشرك–نسأل الله السلامة–.

والأمر الثاني: أن يصيبه عذاب أليم.

قال الإمام: "أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك". إذا رد بعض قول النبي ﷺ، فدل على رد قول النبي ﷺ سبب عظيم لزيغ القلب، وتنكره الطريق المستقيم، طريق الأنبياء والرسل –عليهم السلام–، والميل في الدنيا يتوجب عليه الهلاك في الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة. قولوا: آمين.

أحب أن يكون الأخوات دائمًا منتبهات يعني: وأنا أتكلم أنظر إلى الشاشة، أخواتي بارك الله فيكم.

يقول: " يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك". يعني: أن رده شيئًا لقول من أقول النبي ﷺ سبب لماذا؟ لزيغ القلب، ثم لوقوعه في الهلاك في الدنيا والآخرة. الآن بارك الله فيكم، هذا يُسمى أثرًا عند العلماء، مناسبته إنكار الإمام أحمد أو إنكاره من العلماء

والتعجب منه، من هؤلاء طلبة العلم والعلماء العارفين بالحديث تصحيحًا وتضعيفًا، ثم يتركون هذا الشيء ويذهبون إلى راويه سفيان وغيره، سفيان عليه رحمة الله هذا مثال في ذلك الزمن. لكن غيره كثير.

قال: عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}[التوبة: ٣١] الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟ » فقلت: بلى. قال فتلك: «عبادتهم». رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

هذا الحديث رواه الترمذي وحسنه وقد وقع فيه خلاف في تصحيحه، ولكن الترمذي –عليه رحمة الله- حكم عليه بالحسن، وهو آخر شيء قلناه: أقول هذا الحديث وقع خلاف بين العلماء في تصحيحه وتضعيفه، فالإمام الترمذي حسنه، وهناك من أهل العلم من ذهب إلى تضعيفه والأمر كما قال الترمذي: بأنه حسن إن شاء الله.

قال النبي ﷺ قال الله ﷻ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} والأحبار هم علماء اليهود، والرهبان علماء النصارى، وقيل الرهبان هم العباد، لا بأس أخواتي بارك الله فيكم.

اتخذوهم ماذا؟ أربابًا يعني: معبودين، فاستغرب عليهم حاتم، والمسيح ابن مريم عليه السلام هذا هو الصنف الثالث من الأمور التي اتخذوها إلا أن اتخاذهم للمسيح ابن مريم، اتخاذ عبادة وتفرد، وأما الأحبار والرهبان فاتخذوهم اتخاذ طاعة. وشيء آخر وهو المسيح عليه السلام اتخذوه اتخاذ عبادة وتفرد.

سبحانه وتعالى عما يشركون، عن الإشراك في عبادة الله وطاعته، قال عدي بن حاتم: إنا لسنا نعبدهم. يعني: لا نركع لهم ولا نسجد لهم، فظن رضي الله عنه أن العبادة مقصورة من التقرب في السجود والذبح والصلاة، ففسر العبادة بماذا؟ ببعض صورها. قال النبي ﷺ-وهذا استفهام استنكاري-: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟ » فقلت: بلى. قال: « فتلك عبادتهم». نعم بالطاعة.

(المتن)

ثم قال المؤلف –عليه رحمة الله–: باب قول الله تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [١] الآيات. وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [٢] وقوله: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} [٣] الآية. وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [٤] الآية.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة – فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

(الشرح)

---

(١) النساء: ٦٠.
(٢) البقرة: ١١.
(٣) الأعراف: ٥٦، ٨٥.
(٤) المائدة: ٥٠.

أقول أخواتي –بارك الله فيكم– موضوع هذا الباب هو الحكم والتحاكم إلى غير ما أنزل الله، وهذا الموضوع مهم جدًا، وعلاقته بكتاب التوحيد، أن التحاكم والحكم ينافي توحيد الربوبية واضح.

فهذا الباب ينبغي لنا أن ننتبه إليه، وأن ندقق في معانيه، بداية ترجم المصنف بهذه الآية الدالة على كفر من أراد التحاكم على غير كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ، وأن كان مع ذلك يدعي الإيمان بما أُنزل على النبي ﷺ من عند الله ﷻ، كما ذُكر في سبب نزولها، وأنها نزلت في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، كما بين الإمام –عليه رحمة الله– –أحسنتي أخت عبير– في حديث عمر، الأخت كتبت الجواب على السؤال الماضي وهو نفسه الجواب على السؤال هذا.

والآية أعم من ذلك، فحيث كان التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، فهو مشتمل على الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بالرسول ﷺ، وهذا ينبغي أن نلتزم به، فلذلك نبه المصنف –عليه رحمة الله– على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من ماذا؟ من تحكيم الرسول ﷺ عند النزاع.

قال الله ﷻ: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء: ٦٥].

لعلنا نقف عند هذا الباب؛ لأن النت بدأ يصبح سيء جدًا. وإن شاء الله قد نعوض في هذا الأسبوع درسًا آخر، بدلًا من الأسبوع الماضي، أو أننا في الأسبوع القادم نمكث ساعة ونصف. سنتواصل مع الإدارة ونعلمكم بذلك.

نسأل الله التيسير ولعلنا نقف عند بداية هذا الباب، وهذا والله ﷻ أعلى وأعلم، والسلام عليكم ورحمة الله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد نبينا الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين. جزاكم الله خيرًا على صبركم وعلى حسن استماعكم. ونسأل الله ﷻ أن ييسر لنا أمورنا.